

الخطبة رقم ٢٥

أسباب النصر والهزيمة

الخطبة الأولى والخطبة الثانية التابعة لها

من كتاب خطب الحمد والثناء

الحمد لله الذي أوضح للحق السبيل وبين لسالكه الدليل .. أحمدته تعالى فهو المحمود على كل حال وأشكره بالشكر يزداد بالتوال .
وأشهد أن لا إله إلا الله المعبود رب كل موجود وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الثقلين والداعي لخيري الدنيا والآخرة صلى الله عليه وسلم إلى يوم الدين .

أما بعد .. أيها الناس : يعوم الكثير من الناس في معرفة أسباب الهزيمة والانتصار فبعضهم يعزوها للقوة الضاربة والخبرة الفائقة، وآخرون بالتأييد الغيبي ومناصرة القوة الخفية .

والحق في ذلك أن الأخذ بالأسباب من كمال التوحيد ومستلزماته وأن الاعتماد عليها شرك بالله وأن تركها وعدم الأخذ بها قدح في توحيد العبد ونقص في إيمانه ، والأسباب بنوعيتها المادي والمعنوي عاملان أساسيان للانتصار وتركهما سبب للهزيمة والاندحار، وقد كانت البشرية والاختلاف قائم والصراع على أشده يتجلى ذلك في حكمه (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين).

فالسر بمثابة اللقاح يدفع الناس للأهبة والاستعداد ولعمارة الكون واستمرار الحياة ، يظل الناس في عراق وكفاح هذا مظهر من

مظاهر حياتهم الاجتماعية بريادة أرباب الطموح وقادة الشعوب .
وتنتهي آجال أفراد وينطوي تاريخ أمم ، والدنيا كأنما هي وليدة
الساعة وكأن لم يكن شيء قد كان وبان ، لولا سطور التاريخ
ومشاهدة الآثار (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا
تسألون عما كانوا يعملون) ، وكل ما وردنا من آثار وأخبار عن
ما في السنين وغابر الأحقاب إنما هو للذكرى ، فالذكرى تنفع
المؤمنين .

ويرد سؤال عن هدي الأنبياء في القتال وهل أحرزوا النصر على
كل من ناووه . هدي الأنبياء في شريعة الله من حيث التلقي
واحد والنموذج الأوفى والأكمل محمد صلى الله عليه وسلم ، لقد
خاص غمار الدعوى في السلم والحرب والعسر واليسر والمنشط
والمكره حتى أوضحها جادة سوية لا عوج فيها ولا أمتا وبشريعته
تعبدنا الله ، لقد طلع فجر النبوة منبثقة من تعاليم السماء يحمل
مشعلها النبي الكريم الذي تجسد فيه معاني الرسول والرسالة ،
وانصرف عن دنياه ليقبل على أخراه ، عالج الناس معالجة
الطبيب الشفيق للدنف المريض (لقد جاءكم رسول من أنفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) .

لقد كان يعزب عن أذهان كثر من الناس في مطلع النبوة أن محمداً سيغزو مكة بجيش عرمرم من المسلمين ويفتحها كان هذا في حكم المستحيل أن يحفر الخنادق في أفواه تلك المدينة لتدق أعناق اليهود ، ومما لا يتصور أن يكتب لملوك الروم والفرس يهددهم إن لم يسلموا، وقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم بين ظهрани قومه ثلاثة عشر عاماً بعد البعثة يلقي تلاميذه دروس الصبر والمران على ضروب الحياة المرة ويتحصن الصحابة بدروع الإيمان ، وكان لهم في مقام الرسالة الانقياد والإتباع ، فلما انطبقت عليهم صفات القيادة وكانوا أحق بها تمددت حياة الدعوة من طور السلم إلى الحرب ليترك سبيل من أراد للحق سبيلاً ولينقذ البشرية من براثن العبودية للبشر ليعودوا أحراراً كما خلّقوا من حتى أظهر الله الدين وأتمه بالحجة والبرهان والسيف والبنان .

أيها المسلمون : لقد ساء المسلمين عبث الشرذمة من اليهود حينما دنسوا بقاع المسجد الأقصى وامتدت أيديهم الآثمة إليه بالهدم والحرق والتخريب، هذا شعور ولا يسع أي مسلم إخفائه ولا يطيق كتمه وإغفاله ، ولكن هل هذا هو كل شيء يجب على المسلمين ، وإذا كان الحديث عن أسباب النصر ودواعي الهزيمة،

فإن هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دليل وهو المقياس
لأذلة كل من حاد عن الطريق وهو الميزان لتأييد الحق ومنازمة
الباطل ، فمتى الحق وسيلتنا ، والله غايتنا ، فالله لا يخلف الميعاد
(إن تتصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (ولينصرن الله من
ينصره إن الله لقوي عزيز) (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
بإذن الله والله مع الصابرين) (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
إن الله لمع المحسنين) .

عباد الله : اتقوا الله وراقبوه ولا تتصلوا من المسئولية فالله لا
يخفى عليه ما في الصدور ، وقولوا كلمة الحق واعتبروا بالأمم
من قبلكم وما حاق بها من بلاء وشر من جراء ذنوبها ، أعاذنا الله
وإياكم من كل سوء وجنبنا مزالق الفتن وشتات الأمر ، اللهم
انصر دينك وكتابك وعبادك الصالحين . اللهم أدر الصليبية
الماكرة وأخرج اليهود والنصارى من بلاد المسلمين وأذل البوذية
والهندوكية وسائر ملل المشركين ..

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله
والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأتي بخلق جديد وما ذلك
على الله بعزيز .. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ..

الحمد لله رب العالمين والهادي إلى سواء السبيل .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الخلق والإيجاد والعبادة والطاعة والانقياد .. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد .. أيها الناس : تشفق الإنسانية على نفسها وتخشى من مغبة جهلها أو تجاهلها للحقيقة الناصعة ، وقد أدرك رجال الفكر ومريدي الإصلاح ضلالة البشر عن الحياة السعيدة في الدنيا ، خواء في الأفكار وفراغ في الأرواح وتبذل في الأجساد وملل وسامة في الحياة المادية ، ومع وجود البيئات والدلائل فإن الأمة لا تنقاد إلا للقيادة المثلى ولا تنتصر دعوة إلا إذا حملها أهلها بالإتباع الكامل وكانوا هم الأسوة الحسنة في كل ما ينبغي أن يفعل أو يترك ، فإن الإسلام وهديه في السلم والحرب والغنى والفقر هو العلاج الحاسم لداء الأمم والبلسم الشافي ، وقد أكمله الله وأتمه وكتب له الخلود ولأهله النصر ما تمسكوا به وآمنوا به ، لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل .

اللهم إنا نسألك بخير العمل وخير الدعاء وخير ما ظهر وخير ما بطن .. اللهم أقم علم الجهاد لنصرة الحق واخذل الكفر وأهل

الإلحاد والعناد يا رب العباد .. اللهم وابرهم لهذه الأمة أمر رشد
يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه
بالمعروف وينهى فيه عن المنكر إنك سميع الدعاء .

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه
وسلموا تسليما .. إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ..
ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصفون .